القياس الخاطئ وأثره في الخطأ اللغوي

الدكتور عبد العزيز مطر
مدرس "فقه اللغة"
قسم اللغة العربية

القياس اللغوى هو رد الشيء إلى نظيره[1] . وهذا الذى يرد إلى نظيره يكون جديدا بالنسبة إلى المتكلم لم يسمعه من قبل ، أما النظير الذى رد إليه اللفظ الجديد فهو معروف للمتكلم ، سمعه من قبل . والمرء يلجأ إلى هذا القياس فى لغته منذ الطفولة ، ويظل يستعمله فى كل ما لم يرد على لسانه من قبل . وهذا أمر ضرورى ، فليس كل كلام إعادة لكلمات سابقة فقط ، بل هو فى نفس الوقت إنشاء لنطق جديد ، لأنه لا يمكن لموقف من المواقف أو دافع من الدوافع . أن يكون كالموقف أو الدافع السابق فى كل تفاصيله»[2].

والمتكلم — مع استخدامه القياس فى تنمية لغته — لا يتعمد القياس فى كل حال بل يتم غالباً دون وعى منه . ولهذا نرى المتكلم والسامع لا يشعران بهذه العملية إلا إذا تبين لأحدهما أو كليهما أن هذا القياس مخالف لما تعارف عليه أهل اللغة ، وجرى فى كلامهم . ومعنى ذلك أن القياس نوعان :

١ — قياس صحيح .

٢ — قياس خاطىء[3] .

---

(١) المعجم الوسيط : ٢/٧٧٥ .

(٢) اللغة بين المعيارية والوصفية للدكتور تمام حسان : ٢٩ نقلا عن نص للغوى الامريكى « ستيرتفانت » .

(١) المشهور استخدام « اخطا » الرباعى ومشتقاته والتفرقة بينه وبين الثلاثى ، ولكننا جرينا هنا على راى أبى عبيدة فى أن « خطىء » و « اخطا » بمعنى (الصحاح) .

وتوضيح ذلك أن العملية الذهنية التى تتم فيها المقارنة بين الكلمة أو الصيغة المجهولة ونظيرتها المعلومة ، قد تقوم على أساس التشابه التام بينهما وتسفر عن كلمة أو صيغة قد تعارف عليها أهل اللغة وإن كانت مجهولة للمتكلم لم يسمعها من قبل . وفى هذه الحالة يحكم على القياس بأنه صحيح .

أما إذا أسفرت هذه العملية الذهنية القياسية عن كلمة أو صيغة لم يتعارف عليها أهل اللغة ، أو قامت عملية المقارنة على أساس تشابه موهوم بين الكلمة المجهولة والمعلومة ، فإنه يقال حينئذ إن هذا القياس خاطىء .

وهذا القياس الخاطىء ، يبدأ عادة فى لغة الأطفال ، فإن لم يجد الطفل من يصلح له خطأه حدث فى لغة الجيل الناشىء أمور لم تكن مألوفة فى لغة السلف ، وحل الخطأ الجديد محل الصواب القديم ، وأصبح ما كان يعد خطأ فى لغة الأجداد أمراً معترفا به شائعاً فى لغة الخلف[1] وقد يقع القياس الخاطىء من الكبار أيضاً .

وهذه الظاهرة اللغوية ، أعنى القياس الخاطىء ، معترف بها من اللغويين المحدثين[2] .

ومعالم هذه الظاهرة واضحة عند اللغويين العرب فيما سموه «التوهم» وربما عبروا بالخطأ فى القياس أيضاً ، جاء فى «المزهر» للسيوطى[3] — عن شرح الفصيح لابن خالويه — «كان الفراء يجيز كسر النون فى شتان تشبيها بسيّان وهو خطأ بالإجماع فإن قيل الفراء ثقة ولعله سمعه ، فالجواب : إن كان الفراء قاله قياسا فقد أخطأ القياس ، وإن كان سمعه من عربى ، فإن الغلط

---

(١) من أسرار اللغة للدكتور ابراهيم أنيس : ٣٢ .

(٢) راجع مجلة مجمع اللغة العربية : ١٧٧/٨ (بحث أبواب الثلاثى للدكتور ابراهيم أنيس) .

(٣) المزهر : ٥٠٤/٢ .

على ذلك العربى ، لأنه خالف سائر العرب ، وأتى بلغة مرغوب عنها » .

فعلى الاحتمال الأول يكون الفراء قد وقع فى قياس خاطىء لأنه شبه شتان بسيان فظن الأولى مثنى وكسر نونها مثل سيان . ولكن شتان مبنية على الفتح لأنها اسم فعل وليست مثنى . وعلى الاحتمال الثانى يكون العربى قد جرى على القياس الخاطىء فانتهى إلى اعراب خالف به سائر العرب .

واستعمل سيبويه لفظ «التوهم» وهو ليس إلا قياسا خاطئا قال : «فأما قولهم مصائب فإنه غلط منهم ، وذلك أنهم توهموا أن مصيبة فعيلة ، وإنما هى مُفْعِلة [1]» .

وقد وضح ابن جنى طريقة هذا التوهم — أو القياس الخاطىء — بقوله : «وذلك أنهم شبهوا مصيبة بصحيفة ، فكما همزوا صحائف همزوا أيضاً مصائب ، وليست ياء مصيبة بزائدة كياء صحيفة ، لأنها عين عن واو ، وهى العين الأصلية وأصلها مُصْوِبة لأنها اسم فاعل من أصاب [2]» . وهذا معدود عند سيبويه وابن جنى من أغلاط العرب . بل وضح «سيبويه» عملية القياس الخاطىء على انها تشبيه صيغة بصيغة ، قال [3] : «وقالوا رجل حميد وامرأة حميدة ، يشبه بسعيد وسعيدة ، ورشيد ورشيدة ، حيث كان نحوهما فى المعنى واتفق فى البناء» .

ومن هذا التوهم قول امرأة من العرب : رَثَأْتُ زوجى بأبيات [4] بدل رَثَيْتُ . وقد وضح الفراء ما فى هذا المثال من توهم أو خطأ فى القياس ، بقوله «وهذا من المرأة على التوهم ، لأنها رأتهم يقولون : رَثَأْتُ اللبن [5] ،

(١) كتاب سيبويه : ٣٦٧/٢ .
(٢) المزهر : ٤٩٦/٢ .
(٣) كتاب سيبويه : ٢١٣/٢ .
(٤) اصلاح المنطق : ١٥٨ . المزهر : ٤٩٦/٢ .
(٥) أى حليته على حامض فخثر (الصحاح) .

فظنت أن المرئية منها ، وإلى ذلك يشير الفراء أيضاً فى قولهم : حَلّأت السويق بدل حليت ، بقوله « قد همزوا ما ليس بمهموز ، لأنه من الحلوة»[1] .

ومن ذلك ما جاء فى المخصص[2] لابن سيده : « زعم أبو العباس محمد ابن يزيد (المبرد) أن أبا حية النميرى كان يهمز كل واو ساكنة قبلها ضمة (مثل مُوسى) وذلك أن الواو المضمومة تهمز باطراد فتوهم الضمة التى قبل الواو واقعة على الواو » .

ويتضح أثر القياس الخاطىء فى التطور اللغوى من قول أبى بكر الزبيدى[3] بعد أن ذكر خطأ العامة فى قولهم لواحدة الصئبان : صئبانة : « وإنما دخل عليهم لقولهم صئبان ، فتوهموا أن واحدته صئبانة ، وظنوه من الجمع الذى ليس بينه وبين واحده إلا الهاء » .

ومن قول الحريرى (القاسم بن على) : « ويقولون قد حَدُث أمر . فيضمون الدال من حَدَث ، مقايسة على ضمها فى قولهم : أخذه ما حَدُث وما قَدُم ، فيحرفون بنية الكلمة المقولة ، ويخطئون فى المقايسة المعقولة ، لأن أصل بنية هذه الكلمة ، حَدَث على وزن فعل بفتح العين . وإنما ضمت الدال من حدث حين قرن بقَدُم لأجل المجاورة والمحافظة على الموازنة[4] » .

وفى اللغة أمثلة كثيرة خرجها اللغويون على التوهم ، كتوهم أصالة الميم فى المرآة ، والمسكنة والمدرعة والمنديل . جاء فى اللسان « فى الحديث لا يَتَمَرْأى أحدكم فى الماء . أى لا ينظر وجهه فيه وزنه يتمفعل من الرؤية ، كما حكاه سيبويه من قول العرب تمسكن من المسكنة ، وتمدرع من المدرعة . وكما حكاه

---

(١) الصحاح (حلأ) .
(٢) ١٠٦/١٦ .
(٣) لحن العامة : ٤ ـ أ (مخطوط) .
(٤) درة الغواص : ٢٠ .

أبو عبيد من قولهم : تمندلت بالمنديل ، وفى الحديث لا يتمرأى أحدكم فى الدنيا أى لا ينظر فيها » .

ولكثرة الشواهد التى خرجت ، أو يمكن تخريجها على مبدأ التوهم هذا كاد مجمع اللغة العربية فى القاهرة ، يقر هذا المبدأ ويعترف به فى عداد الأقيسة اللغوية ، بعد أن استمع إلى ثلاثة بحـــوث للمرحوم الشيخ عبد القادر المغربى (ت ١٩٥٦) فى دورات المؤتمر فى أعوام : ١٩٤٨ ، ١٩٤٩ ، ١٩٥٢ [١] قدم فى البحثين الأولين شواهد على توهم أصالة الحرف الزائد قال إنها « بلغت من الكثرة حدا رأيته كافيا فى اعتبار هذا الضرب من التوهم قاعدة تحتذى ، فيحمل على شواهدها المنقولة عن الفصحاء : شواهد أخرى تشبهها من كلام المولدين فنعتبرها صحيحة سائغة الاستعمال، ولا نخطىء الكتاب المعاصرين أو المولدين فى استعمالها [٢] » .

أما توهم زيادة الحرف الأصلى — وهو موضوع البحث الثالث — فقد وجد منه الشيخ المغربى سبعة شواهد « على أن فى اللغة طريقة ثابتة للتوسع فى نظائر كلماتها وتسهيل أمر التخاطب بها » ولقلة هذه الشواهد لم يقترح على المجمع اعتبار مبدأ توهم الزيادة قياسيا [٣] .

أقول : كاد المجمع يقر مبدأ توهم أصالة الحرف ، ويوافق على اقتراح الشيخ المغربى كاملا ، فى اعتباره قاعدة يخرج عليها كلام المولدين والمعاصرين الذى يوجد له نظير فى كلام الفصحاء . ولكن المجمع اكتفى بهذا القرار :

« جرت بعض الكلمات العربية على مبدأ توهم أصالة الحرف [٤] ». وليس

---

(١) البحوث الثلاثة منشورة فى مجلة مجمع اللغة العربية : ٢٥٧/٧ د ٣٦١ و ٦١/٩ .
(٢) مجلة مجمع اللغة العربية ٦١/٩ .
(٣) مجلة مجمع اللغة العربية : ٦٥/٩ .
(٤) مجموعة القرارات العلمية للمجمع : ١٠ .

فى القرار بهذه الصيغة جديد . بل هو إعادة تسجيل للواقع الذى أعترف به اللغويون القدماء . وقد نقلنا أقوالهم فى ذلك . ولم يحقق القرار الغاية التى من أجلها قدم الباحث بحوثه ، وجمع شواهد لتكون مثالا يحتذى ، ومقاييس ترد اليها نظائرها من كلام المولدين والمعاصرين . على أن بحوث الشيخ المغربى لم تعالج الا بعض جوانب « القياس الخاطىء » ، فهو أعم وأشمل من توهم الأصالة ، أو توهم الزيادة ، وذلك كالتوهم الذى يقع فى صيغ الجمع ، أو فى التأنيث والتذكير ، أو صيغ الفعل .

ويمكن أن يعزى إلى ظاهرة « القياس الخاطىء » ما حدث من تطور فى الكلمات الآتية ، المستعملة فى لهجاتنا العامية المعاصرة :

أولا : فى الإفراد والجمع :

(ا) فى اللغة العربية كلمات مفردة تجمع ثم يكون لصيغة جمعها جمع آخر ، وهو المسمى « جمع الجمع » مثل « إناء » ، فإن جمعه آنية وجمع جمعه أوانى . « ومصير » وهو المِعَى : واحد الأمعاء وجمعه مُصران ، وجمع الجمع : مصارين . وقد يحدث فى هذه الحالة أن يشتهر جمع الجمع مثل الأوانى والمصارين ، ويكتفى بأن يكون المفرد هو الآنية والمصران . وهكذا يسمع فى اللهجات المعاصرة « الآنية النحاسية » . والمتكلم يعنى الإناء الواحد ونسمع « المصران الأعور » « والمصران الغليظ » على حين أن المصران جمع مصير . وقد ماتت هذه الكلمة الأخيرة فى اللهجات اكتفاء بالمصران .

وقد حدث هنا قياس خاطىء : فالمتكلم قاس « آنية » « وأوانى » على « خابية » « وخوابى » « وساقية » « وسواقى » فحسب الآنية مفرداً كالخابية والساقية .

وقاس لفظ « مُصران » و « مَصارين » على « ثُعبان » « وثَعابين » ، « ومِفتاح » « ومفاتيح » « وقِرطاس » و « قراطيس » فكما أن الثعبان والمفتاح والقرطاس كلمات مفردة فكذلك توهم « المصران » .

(ب) هناك جموع يكون الفرق بينها وبين مفرداتها بالتاء المربوطة ليس غير ، وذلك فيما يسمى « اسم الجنس الجمعى » مثل تفاح وتفاحة ، وسحاب وسحابة ، وعنب وعنبة ، وشجر وشجرة .

وقياساً على هذا حدث فى بعض الكلمات صياغة مفرد لها مشتمل على التاء الفارقة ، على حين أن الجمع الخالى من التاء له مفرد آخر . ومن ذلك ماقيل فى اللهجات العامية لواحدة «الذباب» : ذِبَّانَة[1] (بالذال أو بالدال). وإذا كان «الذباب» فى اللغة من النوع الذى يفرق بينه وبين واحده بالتاء فيقال ذبابة ، فإن «الذِبَّان» ليس من هذا النوع بل إن واحدته « ذبابة » أيضاً لا «ذِبَّانة» . ولكن قياسها خطأ على ذباب وذبابة هو الذى أدى إلى هذه الكلمة الجديدة أعنى «ذِبَّانة» .

ومن ذلك أيضاً ما جاء فى اللهجات من قولهم « صِئبانة[1] » لواحدة «الصئبان» والصئبان جمع صُئْوابة ، وليس من الجمع الذى يفرق بينه وبين واحده بالتاء . ولكنها ليست خطأ على صئواب . ومفرده صئوابة. وقد تمت العملية القياسية هكذا :

لما كان الذباب جمعاً مفرده ذبابة
∴ الذِبَّان مفرده ذِبَّانة

و

لما كان الصئواب جمعاً مفرده صُئْوابة
∴ الصِئْبان مفرده صِئْبانة

---

(١) قالها عامة الأندلس فى القرن الرابع الهجرى (لحن العامة للزبيدى : ٥ ــ ب) وعامة صقلية فى القرن الخامس الهجرى (تثقيف اللسان لابن مكى : ١٨ ــ أ) وعامة بغداد فى القرن السادس (تقويم اللسان لابن الجوزى : باب الذال) وما زالت الكلمة مستعملة فى لهجاتنا المعاصرة .

(١) تنطق فى أكثر اللهجات بحذف الهمزة فيقال صبانه ، وفى بعض اللهجات تنطق الصاد سينا فيقال : سبانه . وقد وردت كلمة « صئبانة » فى لهجات عامة الاندلس فى القرن الرابع لحن العامة ٤ ــ أ) وعامة صقلية فى القرن الخامس (تثقيف اللسان : ٦٨ ب) .

وقد فسر أبو بكر الزبيدى هذا الخطأ فى القياس بقوله : « وإنما دخل عليهم لقولهم صئبان ، فتوهموا أن واحدته صئبانة ، وظنوه من الجمع الذى ليس بينه وبين واحده إلا الهاء[1] » وربط الزبيدى بين هذا الخطأ وخطئهم فى ذبانة ، إذ قال : « وغلطهم فى هذا كغلطهم فى الذبان »[2]

ومثل ذلك ما حدث فى بعض اللهجات العربية المعاصرة فى مصر ، إذ تسمى الحلوى المصنوعة من النعناع « أرواح » فإذا أراد المتكلم التعبير عن الواحدة أضاف التاء الى هذا الجمع فقال : «أرواحة» وسمعت من يقول لبائع الحلوى « هات أرواحتين » .

(ح) هنالك كلمات عربت وهى مفردة لكنها جاءت على صيغة من صيغ الجمع فاشتق لها مفرد قياساً على مفرد هذا الوزن ، وذلك مثل كلمة «قروش» التى دخلت اللغة العربية ، عن طريق اللغة التركية التى انحدرت إليها الكلمة من إحدى اللغات الأوربية . وكلمة « غروش » فى التركية مفرد لا جمع ، ولكنها لما دخلت العربية صادفت صيغة فعول ، وهى من صيغ جمع الثلاثى مثل قرد وقرود . ولهذا اشتق لها مفرد على وزن فِعل وهو القرش ، وهذا المفرد لا وجود له فى اللغة التركية .

ومثل ذلك كلمة « سراويل » فهى مفرد لا جمع ، ولكنها لما جاءت على صيغة الجمع وهى فعاليل ، اشتق لها مفرد وهو سروال[3] ، قياسا خاطئا على قنطار وقناطير .

(ء) ومن الكلمات التى تأثرت فيها اللهجات العربية الحديثة باللغة التركية ، وقيس عليها مثيلاتها قياسا خاطئا : الزيوتات والفحومات والشحومات . وصحتها : الزيوت ، والفحوم ، والشحوم .

---

(١) لحن العامة : ٤ ـ ا .

(٢) المصدر نفسه : ٥ ـ ب .

(٣) فى النحويين من يزعم أن سراويل جمع سروال وسروالة (راجع الصحاح) .

والسبب فى هذا أن الأتراك – الذين نقلت منهم هذه الصيغة – لا يعرفون صيغ الجمع فى اللغة العربية ، فلما دخلت هذه الكلمات العربية إلى اللغة التركية ، أضافوا لها – وهى جمع – الألف والتاء ، فقالوا : اللوازمات والعفونات . ولما أخذها المصريون عن الأتراك أخذوا طريقتهم الخاطئة فى هذه الجموع .

(هـ) كذلك يؤدى القياس الخاطىء دوراً فى إيثار صيغة من صيغ الجمع على أخرى ، فيكون ذلك من أسباب اختلاف اللهجات بين البيئات المختلفة ، فمن ذلك أن أهل الإسكندرية يجمعون « الشماعة » على « شماميع » و« الجاكتة » على « جكاكيت » على حين أن أهل القاهرة يؤثرون جمع المؤنث السالم فى هذه الحالة ، فيقولون : « شماعات » و« جاكتات » ، كما يجمعون التاكسى على « تاكسيات » على حين أن أهل الإسكندرية وبعض الأقاليم يقولون « التكوسة » ، كما يقول بعض أهل الأقاليم فى جمع الراديو « الرداوى » ، وأهل القاهرة يقولون : « الراديوات » . على أن إيثار صيغة من صيغ الجمع على غيرها قد يتم عمدا لسبب اجتماعى خاص ، وذلك كما حدث فى تسمية « قانون الموظفين » بعد تعديله عام ١٩٦٤ باسم « قانون شئون العاملين » ولم يسم قانون « شئون العمال » فإيثار صيغة جمع المذكر السالم على صيغة جمع التكسير قصد به التمييز بين هذا القانون ، وقانون العمال بالمعنى الشائع لكلمة عامل ، على حين أريد بلفظ « العاملين » ما يشمل الموظفين والعمال .

ثانياً : فى التذكير والتأنيث :

عندما يقول الطفل : « البلحة الأحمرة » و« الأسمرة » بدل الحمراء والسمراء يكون قد قام – لاشعوريا – بعملية قياسية سريعة ، قفز إلى ذهنه فيها ما يسمعه حوله ، مثل : حلو وحلوة ، وكبير وكبيرة ، فحسب مؤنث الأحمر « والأسمر » يكون كذلك بزيادة تاء على الكلمة الدالة على المذكر ، فأخطأ

فى القياس ، لأن هذه الصيغة تؤنث بعلامة أخرى غير تاء التأنيث ، فتكون على فعلاء « كحمراء وسمراء » .

والتطور اللغوى فى التذكير والتأنيث يقع — غالبا — نتيجة لمثل هذا القياس الخاطىء ، وذلك بوضع علامة التأنيث فى اسم لم يسمع عن العرب بهذه العلامة ، أو باستبدال علامة بأخرى ، أو الجمع بين علامتين للتأنيث.

وقد جمعت من اللهجات العربية المعاصرة طائفة من الكلمات التى وقع فيها التطور اللغوى — بالنسبة للعربية الفصحى — فى التذكير والتأنيث ، وقمت بتصنيفها فى أنواع يمكن ردها كلها إلى القياس الخاطىء وهى :

١ — كلمات ورد السماع بها عن العرب بدون تاء التأنيث ، ويستوى فيها المذكر والمؤنث ، فتميل اللهجات إلى التفرقة بينهما بتاء التأنيث قياساً خاطئاً على الكلمات الكثيرة التى وقعت فيها التفرقة بالتاء رغبة فى اطراد الصيغ واطراد التفرقة فى النوع .

ومن ذلك : عروسة ، وامرأة صبورة ، وحقودة ، وعجوزة ، على حين أن المروى عن العرب : عروس وصبور ، وحقود ، وعجوز[1] .

وهذه كلها على وزن فعول بمعنى فاعل ، وهو من الأوزان التى لا تدخلها التاء الفارقة[2] ومما يبرر هذا القياس الخاطىء أنه سمع عن العرب : عدوة لمؤنث العدو[3] ، كما سمع عجوزة لمؤنث العجوز .

ومما ورد عن العرب أنه يستوى فيه المذكر والمؤنث كلمة « فرس » ولكن

---

(١) ذكر ابن مكى فى تثقيف اللسان : ٢٧ ـ ب (مخطوط) أن ابن دريد ذكر أن عجوزة وردت عن العرب ولكنها رديئة.

(٢) راجع كتاب سيبويه : ٢١٣/٢ وشرح المفصل لابن يعيش : ١٠٢/٥ وشرح ابن عقيل : ٣٣٦/٢ (تحقيق محمد محيى الدين) .

(٣) الصحاح (عدا) .

اللهجات الحديثة تفرق بين المذكر والمؤنث بالتاء فتقول : « فرس » للمذكر « وفرسة » للمؤنث . وهذا قياس خاطىء على « بغل » و « بغلة » .

٢ — كلمات جاء مذكرها فى اللغة على «فَعْلان» ومؤنثها على «فَعْلى» كسكران وسكرى ، وشبعان وشبعى ، وغضبان وغضبى . وكسلان وكسلى. ولكن اللهجات تميل إلى التفرقة بين المذكر والمؤنث هنا بالتاء — قياسا خاطئا — فيقال : سكرانة وشبعانة ، وغضبانة وكسلانة . على أن هذا التطور فى تأنيث هذه الصيغة قديم ، فقد روى أن قوما من بنى أسد يقولون : سكرانة[1] وعليها قول عمارة بن عقيل :

ومن ليلةٍ قد بِتُّها غيرَ آثِمٍ بساجيةِ الحِجْلَيْنِ رَيَّانةِ القُلْبِ[2]

٣ — كلمات جاءت فى اللغة العربية مذكرة ، أو بالوجهين ، فاختارت اللهجات تأنيثها . وفى هذه الحالة تلحق بها علامة التأنيث رغبة فى اطراد الصيغة ، وقياسا خاطئا على الكلمات التى لحقتها التاء ، ومن ذلك قولهم :

« سكينة ، و « خميرة » و « حصيرة » و « ضبعة » والمسموع عن العرب « سكين » و « خمير » و « حصير » و « ضَبُع » .

٤ — كلمات مذكرة منتهية بألف مثل «مستشفى» تميل اللهجات الحديثة إلى نطقها « مستشفه » وتبعاً لذلك تعد مؤنثة ، قياسا خاطئاً على الكلمات المؤنثة بالتاء .

٥ — فى اللهجات العربية المعاصرة ، صيغة مستحدثة من صيغ التأنيث

---

(١) اصلاح المنطق : ٢٥٨ .
(٢) امالى القالى : ٢/٦٠ . والقلب (بضم القاف) : السوار .

وردت عليها كلمات كثيرة شائعة مثل . سَمكاية ، و بَلحَاية ، وتُفَّاحاية ، وتأمُّلاَية كاريكاتورية ، ومُرَشَّحاية[١] .

وقد لحظت فى هذه الأمثلة وما جرى على وزنها ، أنها :

(ا) تصاغ بزيادة ألف وياء ، قبل تاء التأنيث . وإذا كان فى الكلمة ألف أصلا مثل عصاة وحصاة زيدت ياء فقط فتميل عصاية وحصاية .

(ب) تصاغ للدلالة على الوحدة ، فمعنى « بلحاية » : بلحة واحدة «وسمكاية» : «سمكة واحدة» .

وتطور « عصا » — وهى الصحيحة فى العربية — إلى عصاة قديم ، فقد قال ابن السكيت : « زعم الفراء أن أول لحن سمع بالعراق هذه عصاتى [٢] » وفى «مراتب النحويين» لأبى الطيب اللغوى[٣] : أن زيادا وأبا الأسود الدؤلى سمعا رجلا يقول : سقطت عصانى . وفى « تثقيف اللسان » لابن مكى الصقلى : أول لحن سمع بالبصرة : « هذه عصاتى »[٤] وفى « البيان والتبيين » للجاحظ : « أول لحن سمع بالبادية : هذه عصاتى »[٥].

أما تطور « حصاة » « وسفاة » « وشذاة » « ودباة » إلى . حصاية ، وسفاية ، وشذاية ، ودباية — فقد حدث فى لهجة أهل صقلية فى القرن الخامس الهجرى[٦] .

---

(١) هذه الصيغة ترد كثيرا فى عنوانات الرسم الكاريكاتيرى الذى يقدمه الرسام صلاح جاهين فى صحيفة « الأهرام » .
(٢) اصلاح المنطق : ٢٩٧ .
(٣) ص : ٨
(٤) ٢٧ ـ ١ (محفوظ)
(٥) ٢١٩/٢ .
(٦) تثقيف اللسان : ٢٨ ـ ب .

وفى بيان السر فى نشأة هذه الصيغة الغريبة خطر لى تفسيران :

١ — أن كلمتى عصاية وحصاية قيستا خطأ على عباية وصلاية فى عباءة وصلاءة ، وكانتاهما قد وردت عن العرب الفصحاء ، وقيس عليهما غيرهما رغبة فى اطراد الصيغة وزيدت الألف فى الكلمات التى لا توجد فيها الألف أصلا مثل سمكاية وبلحاية .

٢ — من الممكن القول بأن الألف والياء فى هذه الصيغة كانتا فى الأصل « أى » ، ثم تطورت صوتيا إلى الصورة الجديدة ، أعنى أن « سمكاية » أصلها « سمكة أىّ سمكة » ثم اختزلت إلى « سمكة أى » ثم تطورت إلى « سمكاية » ويطبق هذا على الأمثلة السابقة .

وقد بدأ لى احتمال أن تكون هذه الصيغة من صيغ التصغير فى إحدى اللغات السامية كالسريانية والعبرية . ولكن الأستاذ حامد عبد القادر — وهو حجة فى الساميات — نفى لى هذا الاحتمال .

وهناك آثار واضحة أخرى للقياس الخاطىء فى صيغ الفعل[1] ، وصيغ المشتقات نرجىء بيانها إلى بحث آخر ، مكتفين بالأمثلة السابقة فى الاستدلال على أثر ظاهرة القياس الخاطىء فى التطور اللغوى .

أما بعد ، فلعل مجمع اللغة العربية يجعل هذه الظاهرة قاعدة ، استناداً إلى ما رويناه عن اللغويين ، وإلى الشواهد التى سلم بها المجمع ، حين اتخذ قراره بأن بعض الكلمات العربية جرت على مبدأ توهم أصالة الحرف[2] ففى الاعتراف بأثر القياس الخاطىء رفع لصفة الخطأ عنه وجعله عرفا لغويا ، يوسع نطاق القياس ، ويقرب بين الفصحى والعامية . وهذا أمر منوط بالمجمع بحكم قانونه .

---

(١) راجع بحث الاستاذ الدكتور ابراهيم انيس « أبواب الثلاثى » فى مجلة مجمع اللغة العربية ١٧٢/٨ .

(٢) مجموعة قرارات المجمع : ١٠ .